الاثنين 7/7/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة دعوت ربي

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

في سورة آل عمران دعوة أثنى الله على العلماء بأنهم يلتزمونها وسماهم ربنا (الراسخون في العلم), فيها إشارة ودعوة لكل واحد فينا, كل أخ أو أخت أن يلزم هذه الدعوة, ونحن محتاجون إليها أكبر الحاجة في الأوقات العامة, وفي زمن الأزمات خاصة قال الله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران 8].

الزيغ: هو الميل عن الاستقامة؛ ذلك لأنَّ المؤمن يعرف قيمة الاهتداء ويعرف قيمة الإيمان ويعرف قيمة دخول بيوت الله تعالى.

من بين ملايين من البشر أو قل مليارات اختارك الله لتكون مسلماً, فالمسلم بعد أن اجتباه الله يخاف أن يزيغ, أن ينقلب, أن تتبدل حاله, من بين ملايين المسلمين اختارك الله لتكون في صفوف القائمين والصائمين والتالين للقرآن الكريم, هذه رتبة لا يختارها الله تعالى إلا لعباد معينين, فالمسلم يخاف أن تتبدل حاله وأن يتغير شأنه ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وكلما علت رتبتك في الإيمان فالخوف يزداد؛ ذلك لأنَّ المرء كلما رقى في سلم المجد رتبةً وفي منازل الفضيلة درجة, فإنه يخاف أكثر ويتمسك أكثر ويتثبت أكثر؛ لأنه يخاف من السقوط المردي, من أجل هذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أكثر ما يدعو «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» [الترمذي] وهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف, يقول: يا رب, أنت تقلب قلوب العباد ثبت قلبي على دينك.

عن شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى

دِينِكَ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ». فَتَلاَ مُعَاذٌ ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [الترمذي].

قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف 5] هم بدلوا, هم غيروا, أما المؤمنون قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد 17] فأنت كلما مشيت أكثر في طريق الصلاح, مدَّ الله تعالى لك في طريق الصلاح أكثر, لكن عندما ينحرف العبد عن هذا الطريق, فهو ذاهب بنفسه نحو الزيغ يقول أحد المفسرين: ((القلب المؤمن يدرك قيمة الاهتداء بعد الضلال, قيمة الرؤية الواضحة بعد الغبش, قيمة الاستقامة على الدرب بعد الحيرة, قيمة الطمأنينة للحق بعد الأرجحة, قيمة التحرر من العبودية للعبيد للعبودية لله وحده, قيمة الاهتمامات الرفيعة الكبيرة بعد اللهو والاهتمامات الصغيرة الحقيرة, يدرك أنَّ الله منحه بالإيمان كل هذا الزاد, ومن ثم يشفق من العودة إلى الضلال كما يشفق السائر في الدرب المستقيم المنير أن يعود إلى التخبط في المنعرجات المظلمة, وكما يشفق من ذاق نداوة الظلال أن يعود إلى الهجير القائظ والشواظ وهم –المؤمنون– بوحي إيمانهم يعرفون أنهم لا يقدرون على شيء إلا بفضل الله)).

والله لو لم يأذن الله لنا أن نصوم لما استطعنا أن نصوم, لو لم يعنا على القيام لما استطعنا القيام, لو لم يثبتنا في هذا الدرب, فالأهواء التي تجذبنا عنه كثيرة والشهوات التي تأخذنا منه مثيرة, والشكوك التي تحيط بنا تترى, لكن فضل الله علينا أنه يثبتنا, فالمؤمن يعلم أنَّ هذا الأمر ليس بذكائه؛ لأنَّ هناك من هو أذكى منك بكثير.

قال لي أخ تاجر ذهب: سافرت إلى الهند... في الهند يوجد عباد بقر, ولعلنا بادئ الأمر نعتقد أن هذا عابد البقر أمي جاهل مازال كالإنسان القديم يغطي سوءته بأوراق الأشجار.

يقول: والله يا شيخ, مدير معمل حاصل على شهادة (دكتوراة) لديه مئتا موظف يأتمرون بأمره, كان في سيارته فمرت بقرة فنزل من سيارته وركع للبقرة.

فضل الله هو الذي جعلك من قوم (لا إله إلا الله), ولأنَّ الفضل لم يدركه بقي من عباد البقر.

لعلكم اطلعتم منذ سنة أو سنتين على برنامج (عباد الجرذان), نحن اليوم نعتقد بأنَّ عباد الجرذان أناس مازالوا في العصر الحجري, لكن تعجب إذا علمت أنَّ لهم رتباً اجتماعية ورتباً علمية, لكن الفضل لم يدركهم فبقوا حيث هم وأنت انتشلك الله عز وجل ليجعلك من قوم (لا إله إلا الله)

لذلك قلبك يبكي عندما تقول ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أنت الذي هديتنا, يا رب,

نرجوك أن تثبتنا على هذا الدرب وعلى هذا الطريق ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾.

((فالمؤمنون بوحي إيمانهم يعرفون أنهم لا يقدرون على شيء إلا بفضل الله ورحمته, وأنهم لا يملكون قلوبهم فهي في يد الله, فيتجهون إليه بالدعاء أن يمدهم بالعون والنجاة)).

سبق أيها الإخوة في كل يوم وفي كل صلاة وفي كل ركعة نسأل الله عز وجل فنقول يا رب ﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة 6], سبق أن حدثتكم ما معنى ﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ **, أنتم من جماعة الصراط المستقيم بإذن الله تعالى, وأنتم تصلون في بيوت الله عز وجل وتؤمنون بلا إله إلا الله.**

قال العلماء: ما معنى ﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟

قالوا لها معنيان: المعنى الأول ثبتنا على الصراط المستقيم.

أنت في كل ركعة في الصلاة تقول يا رب, ثبتني على الصراط المستقيم حتى لا أنقلب, حتى لا أرتد, حتى لا أغير.

كان بعض الصالحين يقول: ((لا تعجبوا من هالك كيف هلك, بل اعجبوا من سالم كيف نجى)).

والله الذي يراقب –وكلكم تشاهدون الذي يمشي في طريق الصراط المستقيم– هناك ألف جاذب يجذبك وهناك ألف مبعد يبعدك, وهناك أهواء تحيط به وهناك شهوات تحيط به وهناك شكوك في كل يوم.

هناك هيئات دولية, هناك إذاعات, هناك مؤسسات تعمل من أجل أن تسحب شباب الإيمان من درب الإيمان, ورجال الصلاح من درب الصلاح, والنساء المؤمنات من صف المؤمنين والمؤمنات.

فأنت تعجب في هذا الزمن الصعب عندما تشاهد ابن من أبنائنا له من العمر عشر سنوات يحفظ القرآن الكريم, شاب من شبابنا خريج جامعي من كلية عالية يحفظ القرآن, ويحفظ كتب الصحاح الستة, مجموعات من شبابنا كبيرة همها أن تنشأ مشروعاً لخدمة الدين, شباب في الثلاثين يفكر يقول أنا قبل أن أموت أريد أن أضع مشروعاً للتقرب إلى الله في خدمة البلاد والعباد, تعجب هذا أين نشأ في أي مكان كأنه نازل من المريخ! والله يأتيني شاب حصل على الشهادة أرفعها, وخاض الحياة من كل جوانبها, وقد اقترب من يوم عرسه يأتي إلي يقول لي: يا أستاذ أنت تدرس دورات في الحياة الزوجية, وأنا جئتك أستشيرك في العلاقة الخاصة بين الزوجين! والله تقول هذا الشاب في أي مصنع من الطهر صنع, أي جو ملائكي كان يعيش فيه.

هكذا هو الإسلام شاب يكتب كتابه على بنت عمره بين التاسعة والعشرين والثلاثين وعمرها عشرون سنة, معه من الشهادات أرفعها خاض في الحياة كما خاضها الناس كلهم, لما دخل هو وزوجته إلى الشيخ يسلم عليها من بعيد (السلام عليكم) -لأنها مازالت غريبة عنه- وبعد كتابة العقد سلم عليها مصافحة وقال لها: أنت أول امرأة تمس يدي يدها! الله أكبر.

تسعة وعشرون سنة أين كان يعيش هذا؟! يعيش في طهر ما بعده طهر من الذي صنعه؟! هذا الذي يصنعه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, وهذا الذي يصنعه هذا الدين, فقالت له وأنت كذلك! هذا المؤمن بهذا الطهر وهذا العفاف يخاف أن ينقلب, يخاف أن يغير, يخاف من الشياطين أن تجتذبه من هذا الطريق, يخاف على عفته, يخاف على طهارته لذلك ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الذي ثوبه أبيض يخاف من الغبرة **أن تقف عليه, لذلك تجده حريصاً وتجده متنبهاً وتجده يقظاً, حتى لا يتلوث هذا الثوب, أما من كان له ثوب حاله غير هذا الحال, تجده لا يهتم بل لا يكترث, وربما لا يتنبه هل أصيب بشوائب أو بأخطاء أخرى.**

أيها الشباب أيتها الشابات, هذا الطريق الذي تسلكون طريق نهايته النظر إلى وجه الله تعالى, لذلك هو طريق صعب, وهو طريق مستقيم, وهو طريق شاق, وهو طريق متعب, لكنَّ العاقبة لكم فكونوا في ظاهركم وباطنكم متوجهين إلى الله ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾.

لعل بعضنا سلك في درب السالكين الآن, وكان قبل الآن له غير هذا المنشأ. من رحمة الله تعالى وفضله بأنَّ الإسلام يجب ما قبله, وأنَّ التوبة تمحو ما قبلها, وأنَّ الله يرضى منك أن تقول له إني أريدك ليقبلك في السالكين معه, لكن اعلم بأنك تسلك في درب صعب, لكن العاقبة فيه للمتقين, تسعد في الدنيا والآخرة, واعلم بأنَّ معك معونة تأتيك من الأرض ومن السماء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة 5] طريق هذا الدرب وهذه الشريعة وهذه النهاية المرتقبة فيها ابتلاء, طريق الابتلاء معبر شاق تعب فيه آدم, ورمي في النار الخليل, وأضجع للذبح إسماعيل, وألقي في بطن الحوت يونس, وقاس الضر أيوب, وبيع بثمن بخس يوسف, وعاش أنواع الأذى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, وأنت على سنة الاهتداء سائر.

المطلوب منك من ظاهرك وباطنك ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ ومهما سلكنا مع درب المستقيمين, مع درب المقبلين على الله, وتجنبنا دروب البعيدين

عن الله عز وجل, ثم توجهنا بقلوبنا ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ توجهنا إلى الله, فإنَّ معونة الله قائمة, وإنَّ معونة الله قادمة, وإنَّ الله يجعلك شامة بين الناس, وإنَّ الله يفتح لك طريق سعادة في الدنيا وفي الآخرة.

نسأل الله عز وجل أن يثبتنا بقوله الثابت.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.